العرب
الخميس 2019/09/05
السنة 42 العدد 11458

الجبهة الثورية السودانية توحد مكوناتها استكمالا لمسار السلام

بإعلان وحدتها، واختيار الهادي إدريس رئيسا لها، ومالك عقار نائبا له، تطوي فصائل الجبهة الثورية السودانية صفحة خلافات استمرت طويلا، عطلت فرص التوصل لموقف تفاوضي موحد حول القضايا المتعلقة بالسلام في السودان. وتريد الجبهة التي باتت شريكا أساسيا في عملية السلام، أن تحافظ على دور المؤثر بالمشهد السياسي المعقّد.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

لم يكن مفاجئا أن تعلن الجبهة الثورية السودانية، الثلاثاء، عن وحدة اندماجية كاملة، من جوبا عاصمة جنوب السودان، بين مكوّناتها السياسية والعسكرية. فالتحركات السابقة لفتت الانتباه إلى رغبة كبيرة لدى قادة الفصائل المسلحة في التفاوض مع قوى الحرية والتغيير من منطلق جماعي قوي، وتحاشي أخطاء مرحلة ماضية كان التسابق فيها يتم فرديا من الخرطوم.

عندما أخفقت الحوارات الأخيرة مع قوى الحرية والتغيير ومع المجلس العسكري، في التوصّل إلى قواسم مشتركة قابلة للتنفيذ الفوري بدأت قيادات الجبهة تستعد للخطوة التالية من التفاوض مع السلطة الانتقالية المسؤولة عن التوصّل إلى صيغة واقعية للسلام الشامل في ربوع السودان خلال الستة أشهر المقبلة.

ويستلزم ذلك جاهزية كبيرة من الحركات، ورؤية واضحة لقادتها، وضمانات إقليمية وربما دولية، لأن مخرجات هذه المرحلة من المفترض أن تنهي إشكالية قديمة متجذّرة وعلاقة ملتبسة بين المركز والأطراف، وتؤسس لأخرى متينة تكون سندا للسودان وتمنع عنه شبح تفكيك الأقاليم الذي طارده سنوات طويلة.

يصرّ سيلفا كير ميارديت رئيس دولة جنوب السودان على جمع الفصائل المسلحة في السودان تحت إشرافه، ودعاها أكثر من مرة إلى الاجتماع في جوبا للحوار والتفاهم في ما بينها ومع غيرها من القوى السياسية في السودان.

بدت قضية تجسير الهوة بين السودانيين مسألة حيوية تتجاوز قدرة سيلفا كير على خفض التوتر مع معارضي نظامه. ما يعني أن الهدوء والأمن والاستقرار في الجارة الشمالية (السودان) مقدم على حل أزمة تعثر السلام في جنوب السودان لأنه غير منفصل عنه.

تنطوي الخطوة المتقدمة التي خطتها الجبهة الثورية من جوبا لتوحيد جناحيها السياسي والعسكري على كثير من الرسائل الحالية والمعاني المستقبلية، لأنها شملت القيام بإجراء تعديلات في ما يعرف بدستورها وتطوير نظامها الأساسي لاستيعاب متطلبات السلام والتعامل مع استحقاقاته، والحرص على التفاوض برؤية موحدة وموقف مشترك.

وقع الاختيار ولمدة عامين على، الهادي إدريس يحيى رئيس حركة تحرير السودان- المجلس الانتقالي ليكون رئيساً للجبهة، ومالك عقار رئيس الحركة الشعبية- قطاع الشمال نائباً له، وجبريل إبراهيم رئيس حركة العدل والمساواة أميناً عاماً.

تؤكد عملية توزيع المناصب أنها وسيلة وليست غاية، لأن مني أركو ميناوي رئيس حركة تحرير السودان تنازل طواعية عن رئاسته للجبهة قبل انتهاء مدته، كي يفسح المجال للهادي إدريس ليتبوأ مقعده في مرحلة الوحدة الاندماجية وما تتطلبه من مسوغات قانونية عرف بجدارته فيها، وحنكته في إدارة حوار مصيري منتظر مع السلطة الانتقالية.

> تشير التحركات الأخيرة إلى أن عناصر الجبهة الثورية تريد توسيع قواعدها الجماهيرية في الأقاليم التي كانت حافلة بالصراعات

سبق هذه الخطوة بوقت قليل إعلان 4 حركات مسلحة في بيان مشترك استعدادها التفاوض مع مؤسسات السلطة الانتقالية بوفد مشترك والالتزام بتحقيق السلام. ووقع على البيان الطاهر حجر رئيس تجمع قوى تحرير السودان، وجبريل إبراهيم، والهادي إدريس، ومني أركو ميناوي. وجميعهم يقيمون في دولة جنوب السودان.

تمتين جبهة دارفور

في اليوم الذي كشفت فيه الجبهة الثورية عن خطوتها الاندماجية، أعلنت ما يسمّى بـ"هيئة محامي دارفور"، وهي هيئة مستقلة تأسست عام 1995 في غرب السودان، عن ترتيبات لعقد ملتقى تشاوري في جوبا يجمع الحركات المسلحة والقوى المدنية في إقليم دارفور، بغرض الوصول إلى رؤية مشتركة بين القوى المدنية والمسلحة تساهم في تحقيق السلام الشامل، من خلال إيجاد حلول عملية للقضايا المطروحة. وأجرت مشاورات مع الفصائل الرئيسية في الإقليم، ووصلت للهيئة ردود جيدة تعكس أهمية عقد الملتقى التشاوري.

يعني ذلك أن أزمة دارفور لا تزال القضية الأمّ التي جذبت أنظار العالم وانتفض لها منذ حوالي عقد من الزمان، وجُرّ بسببها الرئيس المعزول عمر البشير ونحو 40 من رفاقه العسكريين والسياسيين إلى المحكمة الجنائية الدولة، وتعتبر المدخل الرئيسي للسلام.

ولا يعني تسليط الأضواء عليها أنه سيتم وضعها على الطاولة فقط. فمشكلات جنوب كردفان والنيل الأزرق لا تقلّ أهمية عن دارفور. من هنا يمكن فهم جانب آخر من اهتمام سيلفا كير بتوحيد الجبهة الثورية، فالرجل لا يريد أن يجد نفسه أمام مأزق بسبب إهمال ما يجري على حدوده الشمالية أو تبقى المنطقة الملاصقة لبلاده بعيدة عن السلام.

تشير التحركات الأخيرة إلى أن عناصر الجبهة الثورية تريد توسيع قواعدها الجماهيرية في الأقاليم التي كانت حافلة بالصراعات والتوترات، لتقول إن أجنحتها المسلحة لها أذرع شعبية مؤثرة في دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق. وما يقوله القادة يعبّر عن رغبة الجميع في تحقيق السلام العادل. لذلك فالتفاوض مع قوى الحرية والتغيير ومجلس السيادة والحكومة الجديدة له جذور عميقة ومحمية بإرادة شعبية من الصعوبة التشكيك فيها.

تعمل قوى الحرية والتغيير على الحدّ من الفواصل بينها والجبهة الثورية، لأن الأولى تتراجع أسهمها بحكم تشكيل الحكومة وتراجع الفوران الثوري وقلة خبرة بعض المكوّنات السياسية، فضلا عن صعود دور الجبهة الثورية كمشارك أساسي في صناعة السلام الشامل، بالتالي فالحفاظ على التعاون والتنسيق معها يمثّل عنصرا مركزيّا، ويحمل أيضا حفاظا على كيان قوى الحرية والتغيير وعدم تلاشي دورها في الشارع السوداني.

وأجرى عمر الدقير زعيم حزب المؤتمر السوداني، القيادي بقوى الحرية والتغيير، حوارات مع قيادات الجبهة الثورية الأيام الماضية في جوبا حول تعقيدات المشهد السياسي والتحضير لجولة تفاوضية بعد سلسلة من الجولات في الخرطوم وأديس أبابا والقاهرة وجوبا.

لم يشمل الاندماج الموحد حركتين مهتمين. الأولى الحركة الشعبية- قطاع الشمال، جناح عبدالعزيز الحلو، وتقاتل في منطقة جبال النوبة بجنوب السودان، والثانية حركة تحرير السودان، جناح عبدالواحد محمد نور، وتقاتل في دارفور. وهناك محادثات مع الأولى لتسهيل عملية انخراطها في الجبهة الثورية.

رؤية سياسة

من الممكن أن تؤدي التحركات على هذا المستوى إلى نتيجة عملية قريبا، لأن الحلو قريب من جوبا وغير بعيد عن الخرطوم، فلم يغلق أبوابه أمام المجلس العسكري وقوى الحرية والتغيير، لكنه يريد مركزا حيويّا في الجبهة الثورية والمشهد السوداني الجديد.

بينما لم تتبلور رؤية سياسية محددة بشأن عبدالواحد نور، وهو الأكثر علوّا للصوت وتحريضا على مجلس السيادة الذي يرأسه الفريق أول عبدالفتاح البرهان، والحكومة التي يرأسها عبدالله حمدوك. ما يوحي أن نور بعيد عن الاقتراب من الجبهة الثورية التي تتعامل بواقعية سياسية، ويبدو حريصا على أن يغرّد خارج السرب، ليس من منطلق قوة، بل من ضعف بنيوي تعاني منه حركته.

مرجّح أن تغيّر العلاقة الاندماجية داخل الجبهة الثورية من مصفوفة التوازنات السودانية، وتضفي على فصائلها المسلحة لمعانا سياسيا، لأنها تتجاوب مع الخيوط الممدودة بالسلام، ولم تظهر تخلّفا عنه حتى وهي تعترض على عدم إدراج التفاهمات التي توصّلت إليها مع قوى الحرية والتغيير في أديس أبابا في الوثيقة الدستورية. وفي خضم غضبها حافظت على إعلانها المبكر عن وقف العدائيات مع القوات الحكومية بمجرد سقوط نظام عمر البشير.

يقود هذا التوجه إلى القول إن الحركات المسلحة تريد التأكيد للجميع، في الداخل والخارج، أنها ناضجة سياسيا بشكل كاف، ومعاركها مع النظام السابق دفاعية وإنسانية وهدفت إلى استعادة حقوق الأقاليم التي حاربت فيها، وعندما تغيّرت الظروف تبدي استعدادا طيبا للتعامل معها لتقاسم السلطة والثروة على قواعد وطنية وليست انفصالية. تسعى أيضا إلى توظيف الربط الظاهر من جانب قوى دولية بين تقديم دعم سخي للسلطة الانتقالية ووقف الصراعات في الأقاليم المختلفة. وهي الورقة التي تمنح الجبهة الثورية ميزة إضافية كبيرة، تمكّنها من الحصول على مكاسب نوعية إذا حافظت على تماسكها.

تريد الجبهة التأصيل لقيم جديدة ومتماسكة وقوية للسلام، تتجاوز أخطاء مراحل سابقة سادت فيها الانتهازية السياسية والعسكرية على غيرها من المفردات الوطنية، حيث دخلت على خطوط الحرب والسلام جهات محلية ودولية، ساهمت في إطالة عمر الأزمة.

حان الأوان لتخطي هذه العقبات واستثمار الأجواء الإيجابية لتأسيس سلام يحفظ لجميع الأطياف حقوقها. سلام قالت الجبهة عنه "يخاطب جذور المشكلة ويعالج آثار الحرب وبواعث التهميش، وبذل الجهود لإحلاله متى ما توفرت الإرادة لدى السلطات الانتقالية". لذلك فالتحصّن بالوحدة الاندماجية يشير إلى تغيّر نوعي في الشكل والمضمون الذي تتعامل به الحركات المسلحة، بما يحصّنها سياسيا ويمنحها قدرة أعلى لتعظيم المكاسب.

قطار التغيير في السودان يقطع مسافة جيدة

بريكست يُنعش آمال مؤيدي استقلال اسكتلندا

جون ليسيستر

إستيرلينغ – عندما صوّتت اسكتلندا في استفتاء سنة 2014 ضد استقلالها عن المملكة المتحدة، بدت النتائج كردّ نهائي على القضية. ستبقى تلك المنطقة التي تقع فيها قلعة بالمورال حيث تقضي العائلة البريطانية المالكة عطلها، مع إنكلترا وويلز وأيرلندا الشمالية تابعة للمملكة المتحدة ومركز القرار في لندن.

لكن، جاء استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بعد سنتين من الاستفتاء العام لاستقلال اسكتلندا. وبينما صوّتت بريطانيا لمغادرة الاتحاد الأوروبي، برز الاسكتلنديون كأكبر معارضين حيث حبّذوا البقاء.

جرفت اسكتلندا على الرغم منها في تجاه يعارضه الكثير من سكانها الذين يتوقّعون صعوبة اقتصادية بحلول 31 أكتوبر، وهو الموعد النهائي للخروج الذي يمكن أن يتم دون اتفاق من شأنه تخفيف الأزمة.

خلق الاستياء من احتمال خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي دون صفقة رغبة قوية في الاستقلال داخل مدن اسكتلندا. وعند الانتهاء من معضلة الخروج من الاتحاد الأوروبي، يمكن أن تتحوّل اسكتلندا إلى مشكلة تؤرق كل من يتولّى السلطة في لندن.

وبدلا من تقييد أنفسهم بالمملكة المتحدة التي ستعزل نفسها عن الكتلة، يصرّ دعاة الاستقلال الاسكتلنديين على تنظيم استفتاء آخر للابتعاد عن لندن وربما للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. وأصبح بعض أولئك الذين صوّتوا ضد الاستقلال، والذين قالوا إن وضع اسكتلندا سيكون أفضل داخل المملكة المتحدة، مترددين في آرائهم.

كان كريس ديرين، وهو مدير مركز تفكير في اسكتلندا، من معارضي استقلال بلاده سنة 2014، واصفا الفكرة بأنها غريبة و"لا يمكن تصوّرها" في تصريحاته السياسية التي أدلى بها في تلك الفترة. ومع اقتراب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، تغيّرت نظرة ديرين.

قال إنه لا يعتقد أنه لن يصوّت بـ"نعم" بعد، لكنه لم يعد يرى الفكرة أمرا لا يمكنه تصوّره. وأكد أنه يعرف أشخاصا صوّتوا مثله في سنة 2014، لكنهم غيّروا رأيهم أو أصبحوا مستعدين لمناقشة فكرة الاستقلال.

ويضيف "إذا أصبحت اسكتلندا مستقلة في 2025 أو 2030، سيكون خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي السبب الرئيسي لذلك. لقد وضعت القضية اسكتلندا ضد إنكلترا". وقد لا يتمتع الاسكتلنديون بفرصة ثانية للاستقلال. استبعدت حكومة المملكة المتحدة هذا الاحتمال أكثر من مرة، قائلة إن الاسكتلنديين عبّروا عن رغبتهم في استفتاء سنة 2014، وإن التصويت الثاني سيخلق المزيد من الانقسامات داخل البلاد التي مزقها التصادم بين الأجيال والاختلافات الإقليمية والسياسية والاقتصادية، بسبب أزمة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

ويرى بعض الاسكتلنديين أن رئيس الوزراء بوريس جونسون قد يتسبّب في فوضى. واتخذ جونسون خطوات لتعليق البرلمان لجزء من الأسابيع المتبقية قبل موعد الرحيل المقرّر في 31 أكتوبر.

وقال زعيم الكتلة الاسكتلندية في مجلس العموم، إيان بلاكفورد، مخاطبا جونسون خلال أول جلسة عقدها البرلمان البريطاني بعد انتهاء عطلته الصيفية "هل أنت ديمقراطي أم لا؟ هل تحترم إرادة الشعب الاسكتلندي أم لا؟ لم يصوّت الشعب الاسكتلندي لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. لم يصوّت شعب اسكتلندا على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي دون صفقة. لم يصوّت لصالح حزب المحافظين. وبالتأكيد، لم يصوّت لرئيس الوزراء هذا".

رنّت هذه الاتهامات بين مؤيدي الاستقلال شمال الحدود المفتوحة التي تجمعهم مع إنكلترا. ويقول الممثل المقيم في إدنبرة، غيلكريست موير، إنه شعر دائما بأنه اسكتلندي وليس بريطانيا، وأنه يرى علم الاتحاد في المملكة المتحدة على أنه "رمز للقمع".

في واحد من أدواره التمثيلية، ارتدى موير ملابس مثل السير ويليام والاس، وروى للسائحين كيف واجه بطل الاستقلال الاسكتلندي في القرن الثالث عشر الغزاة الإنكليز في معركة "جسر ستيرلينغ" سنة 1297. أُعدم والاس في لندن سنة 1305، أين شنق وأنزل قبل موته، أين قطّع جسده وفصل رأسه، واعتبر خائنا لملك إنكلترا إدوارد الأول.

سنة 1995، لعب الممثل الأميركي الشهير، ميل غيبسون، دور البطولة في فيلم "برايف هارت" (القلب الشجاع) الذي يروي قصة والاس. وألهم موير الذي كان يلتقط الصور مع السياح بسيفه الطويل، حيث وظّف صيحة غيبسون الشهيرة من الفيلم حين صرخ "الحرية!" قبل أن يموت.

ولا يرى الممثل أن موقف وستمنستر قد يتغيّر. وقال متشائما "يبدو الأمر وكأنني أركب سيارة خرجت عن السيطرة، ولا أستطيع التحكّم في وجهتها. هذا ما يبدو عليه الحال الآن. تم اختطاف البرلمان. ليس لدينا أيّ رأي. لا تمتلك اسكتلندا صوتا. لو كنّا في أي بلد ديمقراطي أو سياق طبيعي آخر، لكانت لنا فرصة جيّدة للتحرك".

ويرى البعض أن بريكست سيعزز قضية الاستقلال. وعلّقت الأعلام الاسكتلندية داخل وخارج مصنع ديل ماكوين لتقطير كحول البذور البيضاء وعنب الجونيبر. وقال ماكوين "أنا متفائل حيث أعتقد بأن اسكتلندا ستكون دولة مستقلة. آمل أن يحدث ذلك وأدعو من أجل تحقيقه. أعتقد أن فوضى خروج بريطانيا كانت مفيدة لقضية الاستقلال، وذلك لأن لندن فرضت على البلاد قرارا لم تصوّت من أجله".

معركة «جسر ستيرلينغ» حاضرة بقوة في عملية الحشد لاستفتاء جديد على استقلال اسكتلندا